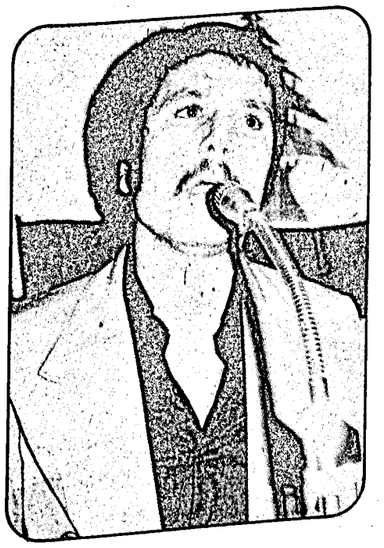

زاهر الخطيب

يحدّد دور المحامي الملتزم تجاه قضايا العنف الثوري في المحاكم البرجوازية

في دفاعه عن مناضلي حركة ٢٤ تشرين الديمقراطية الاشتراكية الذين تصدوا لمؤامرة السلطة وعدوانها على مقر الحركة ومنزل المناضل فاروق المقدم والذي القاه بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٧٥ امام المجلس العدلي ، حدد المحامي النائب زاهر الخطيب ، موقف المحامي الثوري من موضوعة العنف الثوري امام القضاء البرجوازي . ولاهمية هذا الموضوع بالنسبة لجميع المحامين الوطنيين ، كما لجميع المناضلين تعرض « الهدف » بعض القضايا النظرية والسياسية التي طرحها الاستاذ الخطيب في دفاعه المشار اليه .

ففي القسم السياسي من الدفاع يقول :

« انني بصدد الدفاع عن قضية ، لا عن اشخاص . عن حركة سياسية ، لا عن عصابة ارهابية . عن مناضلين شرفاء لا عن « مخربين » او مجرمين عاديين . اما القضية فنصيرها الشعب المضطهد والمظلوم .

واما الحركة السياسية فهي حركة ٢٤ تشرين ، « لانها عصابة ارهابية كجماعة القدور » بل لانها حركة جماهيرية ملتزمة بالنضال الوطني وبالدفاع عن مصالح المضطهدين والمحرومين .

واما المناضلون فيحاكمون اليوم على معتقداتهم ، وعلى انتمائهم ، وعلى ممارساتهم النضالية . وكان يكفي اصلا ، عبر التحقيقات ، ان لا يثبت على هؤلاء صلتهم بالحركة ، او كان يكفيهم التراجع عن معتقدهم او التزامهم النضالي ، حتى تمحى اصلا ومسبقا في ذهن المحقق امكانية التهم المنسوبة اليهم زورا ، وبعاملوا في المخافر واثناء التحقيقات معاملة الانسان ، ويبطل المتهم منهم « مخربا » ، ويصبح بنظر المحقق مستكملا لمواصفات المواطن الطائع الخاضع الخنوع لواقع التحكم والقهر والاستغلال » ..

ثم يمضي الاستاذ الخطيب فيقول :

« انا اشارك معنويا وادبيا وسياسيا في كل ما ناضل من اجله رفاقي :

ايها السادة :

انا لا انتمي الى حركة ٢٤ تشرين ، ولكن يشرفني ان انتمي الى عالم الافكار والقيم والمبادئ التي ينتمي اليها رفاقي هؤلاء . وبالتالي فاني بالقدر الذي اسمح لنفسي به ان اناضل الى جانبهم فانني اعلن مسبقا وعلى الملأ اني اشارك بالمسؤولية المعنوية والادبية والسياسية في كل ما ناضل من اجله هؤلاء الرفاق ، بدافع التزامهم الفكري وحسهم الوطني والشعبي .

واعلن مسبقا عن مشاركتي لهم في المسؤولية المعنوية والادبية والسياسية عن كل بيان طبعوه او منشور وزعوه او اضراب دعوا اليه او اعتصام او تظاهرة قاموا بها ضد الغلاء وضد البطالة وضد الاحتكار والقهر والفقر وضد العدو والعمالة .

اني اعلن مسبقا ايها السادة :

اننا لا نخشى العقاب على ما نفعل ، لاننا اصلا لا ننتظر جزاء على ما نقوم به بوحي ارادتنا وقناعاتنا ، سوى اطمئنان نفوسنا وراحة ضمائرنا .

ولكن اسمحوا لنا ان نقول : ان اشد ما نخشاه قبل احتمال الادانة ، وما نتحسب له هو ان تكون الاسباب او الحيثيات التي سيبنى عليها حكم الادانة هذا ، « اسبابا » باطلة اصلا تجهض المضمون السياسي والنضالي لتحرك هؤلاء المناضلين وتعزله بصورة المجرمين العاديين او المخربين .

وبين المناضل والمخرب فرق كبير .. ما بين المجانبة والعطاء من جهة والانانية والفردية من جهة ثانية . بين من يتحرك لهدف المجموعة والمصلحة العامة ومن يتحرك للهدف الذاتي وللمصلحة الفئوية الانتهازية الضيقة » .

ايها السادة ،

« ان اتهام هؤلاء المناضلين بجريمتين عاديتين احداث سياسية يشكل بحد ذاته جريمة في المناضل وطعنا باعتباره . اذ ليس من مسؤولية المناضل ومواصفاته ان يقدم على مثل ما اتهم به هؤلاء وبالشكل الذي اتهموا به لان النضالية هو علم وهي نقيض للفوضوية ومنهج في العمل موضوعيا وذاتيا اهداف كل مسالة بكافة جوانبها وكيفية تناولها بما يخدم هذا الهدف لا بما يخدم ويشوهه .

واذا كان ثمة موقف سياسي لحركة ٢٤ تشرين ذاته ضد السلطة القائمة ، فلقد حددت الخط سياسيا ابعاد هذه المواقف ومنها بمعناه : اما نترك ابعاد عدونا الطبقي الممثل بتحالف الاقطاع السياسي والطائفي والراسمالي الاحتكاري .

اما الدركي والجندي والطالب والعامل والفلاح والموظف فهم اخوان لنا يعانون كما نعاني اوسع الطبقات الشعبية واقع الاضطهاد الطبقي والاجتماعي .

ان التهمة التي نسبت للمتهمين جاءت نتيجة تضليل بوليسي رهيب ومؤامرة قد لا تكون اثرت على موقف المحكمة بشيء ، الا انها عبثت لا شك وبالتاكيد كثيرا في التحقيقات الاولية ، وبثت سمها اذ اختلقت الاكاذيب وادخلت الاباطيل وانتزعت الاعترافات بالتهديد والضرب والتعذيب ، ورتبت وقائع مصطنعة دست كلها في ملف الدعوى كي يتمكن اصحاب هذه المؤامرة من التخلص سياسيا من حركة سياسية تصفيتها وراء قناع من الادانة القضائية .

لقد ارتكبت عدة جرائم في اثناء حوادث طرابلس.

— اطلاق نار على التظاهرة الطلابية ...

— اطلاق نار على مخفر التل « والشاحنة » الخ .

وكلنا من هذه الامور براء ...

ولكن اذا كان ثمة تظاهرة او اضراب او اعتصام دعوا اليه او قمنا به . واذا كانت التظاهرة بحد ذاتها تعتبر عملا عنيفا وتطرح مبدأ العنف على الصعيد النظري والعملي .

فما هو موقفنا فلسفيا وسياسيا من هذه المسالة بالذات ...؟ »

وهنا يتحدث الاستاذ الخطيب عن موضوعة العنف فيقول :

« ايها السادة ،

ان هذه الدعوى تضع قضية العنف في اطاره الصحيح — اطار الصراع الاجتماعي والطبقي صراع الافكار والمبادىء والمصالح والطبقات .

مصالح الطبقات السائدة المتحكمة ضد مصالح الطبقات الفقيرة والمحرومة .

يتفسير اوضح واوجز — الصراع بين لونين من العنف :

— العنف الرجعي .

— والعنف التحريري .

ويهمنا ان نؤكد مسبقا ايها السادة ، اننا لو اننا بين العنف واللاعنف .. لاخترنا اللاعنف ...

لاننا لسنا غريزيا من دعاة العنف .

هذا لو كانت الامور لا تطرح الا على الصعيد النظري الفلسفي المجرد ، اما والامور تطرح في اطارها الواقعي .

فالمطروح واقعيا « اي عنف نختار ؟ »

لان الواقع يفترض الصراع في الاشياء وفي المجتمع.

هذا الصراع يعبر عن نفسه بالوان من العنف ومظاهر متنوعة .

العنف الاقتصادي

— عنف تسلط الاحتكار واثاره .

وعنف الغلاء — وعنف البطالة والهجرة . وعنف الحرمان — وعنف الجوع .

العنف السياسي واثاره

— قمع الفكر والحريات ...

كلها الوان ووجوه للعنف جوهره واحد، ووجوهه متنوعة يجد جذوره واساسه تاريخيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في تكون الدولة الطبقي .

— الواقع يدعونا ان نختار بين نوعين من العنف .

عنف القوي الظالم — ام عنف الضعيف المعذب المظلوم .

وان من يلتزم الصمت تجاه عنف يمارس بحق المستضعف فهو بحكم الملتزم المتآمر مع القوي الظالم ضد المستضعف .

— والواقع يدعونا ان نختار بين عنف المحتكرين والطغاة والمستبدين ام عنف المستضعفين والضعفاء والمعذبين .

ولقد اخترنا بكل بساطة وعن وعي لواقع هذا التناقض ان نناضل الى جانب عنف الضعفاء والمستضعفين .

المطروح واقعيا اي « جرائم » نختار المشاركة في مسؤوليتها معنويا وادبيا وسياسيا :

في الوقت الذي اعلنا فيه عن مشاركتنا في المسؤولية الادبية والمعنوية والسياسية في كل تظاهرة حق او اضراب لانصاف مظلوم . في الوقت الذي يمكن للقانون ان يدين مثل هذه « الاعمال » كجرائم اختيارنا لمثل هذه النضالات التي تسمون « جرائم » ولكن قبل ادانتنا على تلك دعونا نتساءل هنا في هذه القاعة .. وقبل ادانة احد .. اخر ...

من منا البريء المطلق هنا ؟ من منا لم يختر عنفه ولم يختر جرائمه ؟

— من منا هنا جميعا البريء المطلق من « الجرائم » التي ترتكب باسم القانون وباسم المجتمع وباسم النظام وباسم الشعب .

وقبل الاجابة على هذا السؤال اسمحوا لي بمقارنة بسيطة :

— في ساحة ٢٣ نيسان

— في تظاهرة غندور

— في تظاهرة مزارعي التبغ

— في اضراب وتظاهرات الطلاب

— في يوم نزوح اهالي كفرشوبا تحت القصف الاسرائيلي واهالي بليدا — والنبطية واطلاق النار على هؤلاء وعلى صيادي الاسماك .

— في يوم قصف مدينة صيدا — وقبلها بعيدا في ٢٤ تشرين .. في طرابلس .

— في الاحداث الاخيرة الدامية .

وسقوط القتلى والاطفال والجرحى من هنا وهناك .

اليتامى — الارامل — الشيوخ — الابرياء — الضحايا الشهداء .

السخط والاستياء والالم والحزن والحداد الذي يعم نفوس المصابين بعد كل مجزرة ، الالم الذي يعانون بسبب عزيز فقدوه او قهر عانوا منه او عاشوه .. من يدافع عن هؤلاء ويعبر عن سخطهم واستيائهم والمهم وحزنهم وحدادهم ؟ .

من المسؤول عن كل ذلك ... عن دماء هؤلاء .. وعن آلام اولئك ؟. وبعد كل مجزرة ، يلبس فيها الضمير الانساني ثوب الحداد :

« اهل النظام ؟ »

« مؤسسات النظام ؟ »

« حماة النظام ..؟ »

كلهم بدون استثناء مسؤولون عن هذه الدموع وهذه الدماء يشاركون بالمسؤولية المعنوية والادبية والاجتماعية والسياسية .

لا لان كل فرد منهم بذاته اقدم على اطلاق النار بيده كما فعل الجندي الذي نفذ امرا للسلطة السياسية — بل لان الفرد ضمن المؤسسة يقبل مثل هذه «الجرائم» او يسكت عنها او يبررها تحت شعار القانون ... او ضرورة الحفاظ على الامن ودرء الخطر الاشد ، في منطقه ، بخطر لا بد منه حتى ولو كان شديدا ...

وهكذا يا سادة يصبح كل منا مسؤولا متهما غير بريء ...

ولكن كل واحد منا ..

اختار بالنهاية عنفه .

واختار نوع جرائمه ... »

وبعد ان عرض الاستاذ الخطيب الحيثيات القانونية في القسم الثاني من دفاعه قال :

« الحقائق التي اكتشفناها اثبتت بشكل مكشوف وقاطع ، لا ريب فيه ، براءة المناضلين . والعدالة الشعبية لفظت حكمها بالبراءة ، وتضعكم ايها السادة تجاه مسؤولياتكم لتلفظوا باسم الشعب حكم البراءة فياتي حكمكم منطقيا مع الحقيقة والواقع ومنسجما على الصعيد المبدئي والنظري مع تعريف الدور الذي اعطيتم كقضاة لا سلطان عليكم سوى سلطان ضميركم » .

ردا على مؤامرة الكتائب الفاشية

الطلاب التقدميون في تشيكوسلوفاكيا يؤكدون تضامنهم مع الشعب الفلسطيني ... جاء ذلك في البرقية التي ارسلها هؤلاء الطلاب الى « الهدف » وفي ما يلي نص البرقية :

« ان الطلاب التقدميين في تشيكوسلوفاكيا يؤكدون للعالم اجمع تضامنهم الكامل مع الشعب الفلسطيني ضد الفئة الرجعيين الذين يتصدون للشعب الفلسطيني المناضل . اوقفوا المؤامرة القذرة التي انما هي جزء من المؤامرة الامبريالية التي تحاول تصفية الثورة الفلسطينية ، اوقفوا هذا التصدي للثورة الفلسطينية ، وساعدوا الشعب الفلسطيني على الاستمرار في النضال من اجل استرداد وطنه.